رد على رد..

الكتابة في أدب الأطفال

ملحوظات على كتاب «النص الأدبي للأطفال» للدكتور سعد أبوالرضا، وكتاب «عثمان بن عفان في أدب الأطفال»، لكاتب هذه السطور.

بقلم محمد بسام ملص

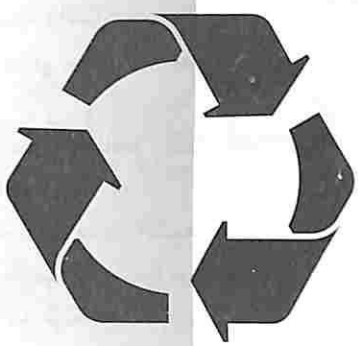

هذه جملة ملحوظات رداً على رد الأخ الفاضل الدكتور سعد أبوالرضا الذي ورد في مجلة «الأدب الإسلامي» (المجلد الخامس- العدد السابع عشر- ص٨٦-٩١) فأرجو أن يتسع لها صدره، مثلما أرجو أن تستمر مجلة الأدب الإسلامي على نهجها الخيّر في إفراد صفحات تخصص لأمور كهذه مع إيراد الردود لأصحابها، أعان الله القائمين عليها وأيدهم وأفرغ عليهم صبراً لتحمل هذه الأعباء الثقيلة ونشر ما يفد إليهم، ونسأل الله تعالى أن يجعلها من باب العلم النافع الذى يعود على الأمة بالخير والفلاح والصلاح. ويقع الرد في بابين: الباب الأول يتصل بكتاب الدكتور الفاضل، أما الباب الآخر فيتعلق بما كتب عن كتاب «عثمان بن عفان في أدب الأطفال».

□□□

●● الباب الأول: النص الأدبي للأطفال: أهدافه ومصادره وسماته رؤية إسلامية

١- أشار الأخ الدكتور إلى أن كاتب هذه السطور لم يشر إلى أصحاب الكتب التي استشهد بها، كما أنه أشار إلى أوجه التقصير فقط «مجلة الأدب الإسلامي العدد ١٧ص ٨٧»، والحقيقة أن الدكتور الفاضل قد ذكر مجموعة القصص الدينية للأستاذ محمد أحمد برانق على أنها مجموعة تناسب أطفال المرحلتين المتوسطة والمتأخرة، تتميز بالبساطة والسهولة وموافقتها للحصيلة اللغوية للأطفال، كما تكشف عن صراع الشخصيات ضد الشر وتأييد الله لها كنماذج خيرة «النص الأدبى للأطفال ص٤٤»، كذلك ذكر مجموعة «محمد خير البشر» للأستاذ عبدالتواب يوسف ومنها قصة «عظمة محمد ﷺ» التي توظف شخصية ابن سينا وما يتمتع به من علم وفقه فى تأكيد جوانب عظمة الرسول ﷺ «النص الأدبي للأطفال ص٥٠ -٥١».

وفى هذين القولين عن المجموعتين وغيرهما من المجموعات لم يتناول الأخ الدكتور ماحوته من أمور ذات أثر سلبي على عقيدة أولاد الأمة، فكانت ملحوظات كاتب السطور عن بعض هذه الأمور للتنبيه إليها، وليس للحط من شأن الأعمال، فالمجال ليس إلا مجال بيان ما أوردته المجموعات من أخطاء في حق

الأنبياء والرسل عليهم السلام، وفي حق بعض الصحابة عليهم رضوان الله.

إن المجازفة في ذكر هذه المجموعات وبيان إيجابياتها دون بيان الأخطاء يتضح في كون كتاب الأخ الدكتور من الكتب العلمية الجادة التي يقرأها المتخصصون والباحثون والمربون المهتمون فى ثقافة الطفل، فيعتبرون هذه الأعمال مما يناسب الأطفال، وقد يشجعونهم على قراءتها دون توجيههم إلى تلك الأخطاء، وإذا كان الدكتور الفاضل يرى أن وعي الآباء والأمهات كاف لكشفها وبيانها «مجلة الأدب الإسلامي العدد ١٧ص٨٧»، فإننا نقول إنه وهو الدكتور الفاضل قد اعتبر ابن سينا فقيهاً اعتماداً على كتاب الأستاذ عبدالتواب يوسف المشار إليه «النص الأدبي للأطفال ص٥٠ ـ ٥١»، وابن سينا في مجال الجرح والتعديل فلسفي النحلة ضال، لو روى حديثاً ما حلّت روايته «الذهبى ميزان الاعتدال فى نقد الرجال جـ١ ص٥٣٩»، فكيف بالآباء والأمهات وكثير منهم لم يؤتوا حظاً من العلم مثلماً أوتي الأخ الدكتور بفضل الله؟!

وأما قول الأخ الدكتور بأن بعض هذه المجموعات كان في طبعته الخامسة عشرة، وبالتالي يتوجب الاعتراف لأصحابها بفضل الريادة «مجلة الأدب الإسلامي العدد ١٧ ص٨٧»، فأعتقد أن الأخ الدكتور يوافقني بأن الموضع في كتابه كان موضع نقد يتوجب من خلاله بيان ما للمجموعات وما عليها، ولكن الموقف هناك اقتصر على بيان الايجابيات، فكان لابد من الإشارة في المقالة إلى جوانب التقصير والأخطاء، وهي أخطاء لاصلة لها باللغة والجوانب الفنية المتعلقة بالكتابة، بل هي أخطاء في المضمون، فلا يجب السكوت عما ورد فيها من مغالطات، والحق أحق أن يتبع.

ونقول بأن الأمر ليس مجرد مجاملة وإطراء وإبراز عيوب، وليس حكماً على الكتب من خلال طبعاتها وريادة أصحابها، إنه أمر يتعلق بأولاد الأمة وما يتلقون في كتبهم، وأثر هذا التلقي على تربيتهم الكلية والأخطاء الكثيرة التي لاتحصى في كتبهم، وما ينتج عن هذا كله من نظرتهم الكلية إلى الإسلام والرسل عليهم السلام والصحابة رضوان الله عليهم والتابعين وغيرهم من الصالحين الذين صنعوا تاريخ هذه الأمة، إننا أمام تحديات كبيرة تتطلب من المخلصين «وأسأل الله أن تكون جهود الأخ الدكتور في هذا الميدان» التصدي لهذه المفتريات والأخطاء والمغالطات دون أن تأخذنا في الحق لومة لائم ونحن نسعى نحو البناء الحضاري في مجال ثقافة أولادنا، ونحن على علم أن تربية أولادنا هي إعداد الأمة للمستقبل، وسنسأل عن هذا عند ربنا، فإننا مسؤولون.

وأما قول الأخ الدكتور بأن كتاب الملحوظات لم يشر إلى أصحاب تلك الكتب التي حوت ما حوت من أخطاء، فإن هوامش المقالة تذكر أسماء ثلاثة كُتاب تمت الإشارة إلى كتبهم في المسائل السبع «الأدب الإسلامي ـ العدد ١٧، ص٨٥ حواشي أرقام ٧ و١١ و١٣».

٢ـ أدعو الأخ الدكتور أن يعيد قراءة مسرحية «جحا والبخيل» للأستاذ أحمد سويلم والملحوظات الواردة عليها قراءة أخرى، فربما خرج بأمر جديد فاته في المرة الأولى.

٣ـ ذكر الأخ الدكتور أن استشهاد كاتب الملحوظات بأعماله يدخل في باب تزكية النفس «مجلة الأدب الإسلامي العدد ١٧ ص٨٧»، وأقول فى هذا الشأن:

أـ إن الإشارة إلى الأعمال الثلاثة عن الخليفة عثمان رضي الله عنه وروايتي جرجي زيدان «عذراء قريش» و«فتح الأندلس» في أدب الأطفال إنما إشارة إلى

ملاحظات على..
موضوع الكتابة في أدب الأطفال

جوانب قليلة من جوانب كثيرة تبرز فيها أخطاء جسيمة فيما يقرأ أولاد الأمة وجب التنبيه إليها لأنها تساهم في تثقيفهم، وأطلب من الأخ الدكتور أن يسمي لي عملاً يتناول هذه الجوانب التاريخية في أدب الأطفال قبل هذه الأعمال بالاتجاه ذاته والتناول عينه، وأما الإشارة إلى دراسة فتح الأندلس، فهذا أمر جائز، وإن لم تكن قد طبعت بعد.

ب ـ أما الإشارة إلى خمسة مقالات ودراسات عن نشاطات الطفل التمثيلي، فقد وردت بعد الإشارة إلى ٤كتب باللغة الإنجليزية عن الموضوع «مجلة الأدب الإسلامي عدد ١٧ ص٨٥ حاشية ٥١»، فكانت هذه الكتب المراجع الرئيسية وهي متخصصة في موضوعها، ثم إن المقالات والدراسات موضوع المسألة حديثة نسبياً فهي منذ عام ١٩٨٥م «١٤٠٥هـ» ومابعد تعكس اهتمامات كاتب السطور في هذه النشاطات ابتداءً من عام ١٩٧٢م «١٣٩٢هـ» وحتى عام ١٩٩٠م «١٤١٠هـ»، أي نحو ١٨عاماً قضاها في التأليف والإخراج والكتابة النقدية والقراءة والمشاهدة، فالمقالات والدراسات إذاً ترتكز إلى تجربة ميدانية عملية، ومع تقديري لكتابات الأساتذة الذين أشار إليهم الأخ الدكتور فإنها كتابات تميل إلى التنظير أكثر مما تميل إلى الناحية العملية، وإنها لم تواكب التطور الذي شهدته هذه النشاطات في الآونة الأخيرة مثل نشاط الطفل التمثيلي والنشاط التربوي والمسرح في التربية، وبذلك فإن الاستشهاد بها لم يكن من باب تزكية النفس، وإنما من باب توثيق المعلومات، وذكر الأمر هنا يكون من باب العلم ليس إلا، ونعوذ بالله من علم لاينفع صاحبه ويقود به إلى التهلكة إن أراد به غير وجه الله.

٤ـ إن الاستفادة من كتاب وينفريد وارد «مسرح الأطفال» تكون أكبر من الاستفادة من كتب أخرى في المجال، لأن بعض الكتب الأخرى لم تتناول خصوصيات تأليف النص المسرحي للأطفال، وهذا ليس إنقاصاً من شأن الكتب الأخرى.

وقد ذكر الأخ الدكتور في معرض الحديث عن كتاب وارد أن هناك تناقضاً بين قول شيخ الإسلام ابن تيمية عن أخذ الحكمة والآداب من كلام حكماء فارس والروم وبين الاستفادة من كتاب وارد «مجلة الأدب الإسلامي عدد ١٧ ص٨٩»، والحديث عن الكتاب إنما ورد من باب الاستفادة منه في مجال التأليف في مسرح الأطفال.

○○ هذه بعض الملحوظات رداً على رد الدكتور الفاضل الأستاذ سعد أبوالرضا فيما يتعلق بكتابه «النص الأدبي للأطفال»، والملحوظات في الأصل لاتقلل من كتابه الذي كما قال عنه إنه كتاب علمي جاد أشاد به كبار كتاب أدب الأطفال في عالمنا العربي ومن بينهم الأستاذ عبدالتواب يوسف، وامتدحه كثير من الأكاديميين ذوى الخبرات العلمية في المجال واللجنة العلمية من كبار أساتذة الجامعات في مصر «مجلة الأدب الإسلامي عدد ١٧ ص٩٠».

●● الباب الآخر: عثمان بن عفان في أدب الأطفال:

ذكر الفاضل الدكتور عدة أمور خارجة عن موضوع الرد الأصلي، متناولاً كتاباً يحمل عنوان «عثمان بن عفان في أدب الأطفال» لكاتب هذه السطور، ومن هذه الأمور:

١ـ ذكر الأخ الدكتور أن الكتاب لاصلة له مطلقاً بأدب الأطفال بمفهومه الحديث «مجلة الأدب الإسلامي عدد ١٧ ص٩٠»، والحقيقة أن مفهوم أدب الأطفال إنما يرتبط بكل ما يكتب للأطفال نثراً وشعراً وبكافة الأشكال الأدبية المعروفة، وعليه فإن الكتب الموجهة للأطفال التي تناولت موضوع الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه تدخل فيما يسمى بأدب الأطفال، وكانت الدراسة تتعرض للأخطاء التاريخية الواردة فيها، وكان هذا هو غرضها، ولو أن الأخ الدكتور قرأ التقديم لها «عثمان بن عفان في أدب الأطفال ص٥ـ٧» لأدرك هذا.

٢ـ ذكر الأخ الدكتور أن المراجع الثمانية عشرة التي قامت عليها الدراسة ليست للأطفال «مجلة الأدب الإسلامي ص٩١»، ونقول إن المتبع في الكتابة التي تعتمد على المصادر والمراجع ذكرُها في النهاية، وعليه فإن أربعة كتب من المراجع للكبار، ولم يدع كاتب الدراسة أنها للأطفال، وقد استفاد منها، والأمر نفسه ينطبق على المراجع الأجنبية الأربعة التي ذكرت، فهي ليست متخصصة في أدب الأطفال، وإنما هي مراجع أجنبية في التاريخ الإسلامي إنما تمت الإشارة إليها مع كتابي الدكتور طه حسين والأستاذ علي شلق لبيان ما يكتب عن الخليفة رضي الله عنه من مغالطات وأخطاء وأثرها مع غيرها من الكتب على بعض كتّاب أدب الأطفال الذين يكتبون عن التاريخ الإسلامي اعتماداً على مراجع ثانوية تضم كثيراً من الأخطاء بدل الرجوع إلى مصادر أساسية.

كذلك ذكر الأخ الدكتور أن كتب عبدالحميد جودة السحار الثلاثة ليست للأطفال، بل هي للكبار «مجلة الأدب الإسلامي عدد ١٧ ص٩١»، وأذكر الدكتور الفاضل بأن هذه الكتب تأتي في الحلقة الثالثة من القصص الدينية، في حين أن قصص الأنبياء تأتي في الحلقة الأولى، وبالرجوع إلى كتابه «النص الأدبي للأطفال ص٤٤» نجد أنه يتناول الحلقة الأولى على أساس أنها للأطفال،